أيهود بن عيزر ، **ليست الحرب للابطال** (أ. لفين افشتين ، تل أبيب ١٩٧٢) .

وجد أيهود بن عيزر ، الذي بحث عن جو سياسي اجتماعي ذي مناخ حماسي لرواية اجتماعية نقدية، الجو مناسبا للاحداث السياسية ايام « قضية لافون »، فاختار بطله من الطلبة الذين توهموا انهم يحاربون الى جانب العدل. وعلى هذا النحو أصدر روايته « ليست الحرب للابطال » التي هي قصة تاريخ حياة فتى اسرائيلي، خلال عامه الاخير، حتى انتحاره خلال فترة الاحداث هذه . وبطل الرواية الفتى رفائيل شومرون المسمى بوليك الذي يترك الكيبوتس، ويعتمد على نفسه في القدس ، ويحصل على قوته بالكاد من توجيه الشباب . والصورة الاولية تظهره وهو في حالة وله مع صورة عارية ليست لها صلة بعفرة صديقته ، ويدرس الفلسفة في الجامعة ، وعلى وشك ان ينتهي من بحث عن افلاطون يمتاز بالاصالة والنبوغ . اما امه وزوج أمه فانهما يعيشان في تل ابيب ويحتقران اهتماماته الدنيئة ويرفضانه . أما والده فقد انتحر في طفولته سواء « لانه من الاحسن الانتحار قبل ان يصل الالمان الى البلاد » (ص ٥٠) ، أم لانه وشى لدى البريطانيين عن رجال العمل السري من اليهود . وهنا نجد ان الغموض الذي يلف موت والده يزيد من حساسية بوليك وآلامه ازاء حالات القهر وموضوعات الجيش والامن . وحينئذ تصبح الحياة في اسرائيل داخل حدودها المحاصرة ، عبئا عنيفا على حياته الشخصية حينما تصطدم واجباته كرجل احتياطي مع الحرية ، تلك الحرية الحيوية بالنسبة له لكي يكمل بحثه الفلسفي . ويزيد من حدة الاحساس بالغربة عنده ابتعاد عفرة الفارقة هي الاخرى في مشاكلها عنه . كذلك فان اثارة قضية لافون تزيد فيه الاحساس بالاضطهاد والضائقة لدرجة انه يشبه مصيره الشخصي بالخطر الذي يتهدد — في رأيه — استمرار وجود الديمقراطية في اسرائيل — ومع تغلب يأسه يترك بوليك دراساته ، ويتحاشى رفاقه ويشتبه فيهم ، ويضاجع عفرة المتدسة لديه ، وبذلك يدنس ذلك الشيء الوحيد الذي كان يحتفظ به داخل نفسه مع هالة من القداسة والاجلال . ويطارده مصيره ويستسلم للتجنيد في وحدة الاحتياطي التابع لها التي تتعرض لكمين بجوار الحدود . وهنا وفي لحظة التنوير التي يدفع فيها بوليك بكل ثقل وآلام حياته ومصيره ، يندفع باحساس انتحاري نحو رصاصات الكمين العربي التي تصيب منه مقتلا .

ان أيهود بن عيزر يصف في هذا الرواية انطباعات فتى منغلق ، وحساس ، وجائع للحب ، وتواق للاعتراف بأعماله وللحرية ، ومنسحق حتى درجة الانتحار في حالات من الضغط ، لا يمكن لروحه أن تصمد في مواجهتها . ونفهم البطل في هذه الرواية نحو الافق الانساني الذي يحتمل وجود حب خالص فيه ، عملية بحث دينية ، أعدت للبطل لكي يهرب اليها كلما ضاقت عليه حلقة ظروف واقع الطوارىء الامنية في اسرائيل . ومجال المناورة الطبيعي بين بؤرات الحياة المختلفة للبطل أعد لكي يجد في النهاية انه لا مفر امامه من الاستسلام لاوامر الاستدعاء المتوالية للاحتياطي ، والتي تفرضها الظروف الامنية لدولة اسرائيل ، بالاضافة الى جو الشك والاضطرابات الخاص بقضية لافون ، وابتعاد محبوبته وفقدانها ، وقضية موت والده او روح النكبة التي تمثلها محاكمة ايخمان . ان دفع بوليك الى كل هذا الجو الذي يخلق منه انسانا منسحقا أعد من اجل اقناع القارىء ، بأن انتحاره متوقع ، وحتى يصبح اصبع الاتهام في هذه الحالة موجها من القارىء الى ذلك الواقع الذي تجمعت عناصره الاجتماعية والسياسية والامنية حول البطل — المثقف الحساس واخرجته عن وعيه وعن حياته . وفي هذه الحالة نجد أنفسنا هنا امام رواية من المفروض تناولها على المستوى الايديولوجي أكثر مما يجب ان تتناول على المستوى الفني . ومن السهل التكهن بأنه كان هناك أمام بن عيزر نموذجان كبيران لدى كتابته لهذه الرواية — دستوفيسكي وعلى الاخص في روايته « الشياطين » ، ويوسف حييم برينر الاديب اليهودي ، في تخبطاته النفسية وانتقالاته المتطرفة من حالة نفسية الى حالة اخرى . ان البطل بوليك يشبه نفسه ببطل « الشياطين » شاطوف وذلك حينما قال لصديقه زفي « انه ايضا يشبه الى حد ما ... وهؤلاء ... تماما مثل حدث في «الشياطين» لن يدعوا احدا يفلت من تحت أيديهم» (ص ٢٤) انه يشعر بأنه مضطهد وبأنه ضحية . هذا هو احساسه الاساسي . ومثل شاطوف بطل دستوفيسكي الذي قتل بصورة مقززة على ايدي الثوريين القوميين ، يقتل بوليك على أيدي اصحاب الحق الشرعي في الارض السليبة ، بسبب